

الدعوة إلى الله سبحانه وأثرها في المجتمع

العدد: (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ)، سبتمبر: (١٩٧١م)

لقد رفع الله شأن الدعاة إليه وأبلغ في الثناء عليهم حيث يقول سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ، ويخفف عبء الدعوة إلى الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة ، وقد روى عبدالرزاق عن معمر عن الحسن البصري - رحمه الله - أنه تلا هذه الآية الكريمة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، فقال : هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض الى الله ، أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته ، وقال إنني من المسلمين ، هذا خليفة الله . انتهى .

ولا ريب أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم سادة الناس في الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن - رحمه الله - وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال إمامهم

وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وصبر على الدعوة إلى ربه أتم صبر وأكمله حتى أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجا ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا في الدعوة ونشروا لواء الإسلام في غالب المعمورة لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور ، وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل في جميع الأحوال فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح ، وبذلك انتصروا على أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق في كل ميدان ، وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التي ذكرها الحسن ، وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة إلى الله وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هذا الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية الكريمة والصفات الحميدة التي وصف بها الحسن الدعاة إلى الحق .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[(١)] وقال عليه الصلاة والسلام : «من دعا إلى هدى كان له من

(١) أخرجه مسلم: [٥٠٠٧].

الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» [1] ، وقال لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم» [2] .

وفي هذه الأحاديث وما جاء في معناها تنبيه للدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه هو هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق إلى عز الايمان ورفعة الإسلام وعبادة الإله الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح العبادة لغيره ولا يستحقها سواه سبحانه وتعالى ، وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية .

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الإسلام التي يشهد له بها أهل الإنصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه ، وذلك من رحمة الله الحكيم العليم الذي جعل هذا الدين الإسلامي دين رحمة وإحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانون ونظام ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا

---

(١) أخرجه مسلم: [٦٩٨٠].

(٢) أخرجه البخاري: [٢٩٤٢]

إلى ذلك من سبيل ، فسبحان الذي شرعه ! ما أحكمه وأعدله ! وما أعلمه بمصالح عباده وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة !

فيأيها الأخ المسلم ، ويأيها العاقل الراغب في الحق ، تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ وادرس ما دلا عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفي قلبك ويروي غلتك ويشرح صدرك ويهديك إلى سواء السبيل .

* * *